﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأعراف: 110]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تَتْميمُ مَشهدِ اتّهامِ موسَى بإخراجِ النّاسِ منَ الأرضِ، والاستيلاءِ على المُلْكِ

لمّا استَشعرَت نفوسُهُم ما صارَ إليهِ أمرُهُم مِن إخراجِهِم مِن أرضِهِم، وخلوِّ مَواطِنِهِم مِنهم، وخَرابِ بيوتِهِم، فبادَروا إلى الإخبارِ بذلكَ، وكانَ الأمرُ كما استَشعَروا؛ إذ أغرقَ اللّهُ فِرعونَ وآلَهُ، وأخلى مَنازِلَهُم مِنهُم، ونَبَّهوا على هذا الوَصفِ الصَّعبِ الّذي هو مُعادِلٌ لِقَتلِ الأنفُسِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَأْمُرُونَ﴾: مع أنَّ للهمزةِ والميمِ والرّاءِ أصولًا أشيعُها: الأمرُ مِنَ الأمورِ، والأمرُ ضِدُّ النّهيِ[2]، إلّا أنّ مِن معانيهِ التّشاورَ، فمُرْني؛ بمعنى: أشِرْ عليَّ. فالائتمارُ: قَبولُ الأمرِ، ويُقالُ للتّشاورِ: ائتِمارٌ لِقبولِ بَعضِهم أمرَ بَعضٍ فيما أشارَ بهِ[3]. مَلاكُ الأمرِ إذن أنَّ استعمالَ الأمرِ غلَبَ في الطّلبِ الصّادرِ مِنَ الأعلى إلى مَن دونَهُ، فإذا التُزِمَ هذا كانَ إطلاقُهُ في الآيةِ الكريمةِ على وجْهِ التّلطُّفِ مع المُخاطَبينَ، وأيًّا كانَ فالمقصودُ منهُ الطّلبُ على وجهِ الإفتاءِ والاستشارةِ؛ لأنّ أمرَهُم لا يَتَعَيَّنُ العملُ بهِ[4].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

اتّجاهُ أشرافِ القومِ لتحريضِ شعْبِ مِصرَ على موسَى، واتّهامِه بالسِّحرِ

وتَشاورَ الملأُ في أمرِ موسى، وماذا يَصنعونَ؟ وكيفَ تكونُ حيلتُهُم في إطفاءِ نورِهِ، وإخمادِ كلمتِهِ، وظهورِ كذبِهِم وافترائِهِم؟ وتخوّفوا مِن معرفتِهِ أن يستميلَ النّاسُ بسحرِهِ فيما يَعتقدون، أو يَفترونَ؛

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/358 - 359.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أمر).
(3) الرّاغب، المفردات، والزّمخشريّ، أساس البلاغة: (أمر).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/43.

فيكون ذلك سببًا لظهورِهِ عليهم، وإخراجِهِ إيّاهُم مِن أرضِهِم[1].
وفيه مِنَ التّرهيبِ، والتّخويفِ لعامّةِ القومِ ما فيه، وكأنّ لسانَ حالِهِم: ها هو موسى عليه السلام قد وجَّهَ إرادتَهُ لسلبِ مُلكِكُم مِنكُم، وإخراجِكُم مِن أرضِكُم بسحرِهِ بأنْ يَستميلَ به بني إسرائيلَ، فيتبّعوه فينتزعَ منكُم المُلكَ، ويستبدَّ به دونَكُم، ويلي ذلك إخراج المَلكِ وعظماءِ رجالِهِ مِنَ البلادِ؛ لئلّا يناوِئوهُ لاستعادةِ المُلكِ منهُ[2].

وتُرشِدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ مِن أهمِّ أسبابِ ردِّ الحقِّ، وعدمِ قبولِهِ، التّمسُّكَ بالسّلطةِ، ونعيمِها، والمالِ، وزينتِهِ، وفيها إشارةٌ إلى أهمّيّةِ المَشورةِ، والتّأنّي في اتّخاذِ القرارِ[3]، فضلًا عنِ التّلميحِ بأهمّيّةِ أرضِ الوطنِ للإنسانِ؛ فبها خوَّفوهُم، وأرهَبوهُم.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ التَّعْبيرِ بالمضارعِ، والمصْدَرِ المؤوّلِ:

قولُهُم ﴿يُرِيدُ﴾ مُضارعٌ يدُلُّ على تجدُّدِ الإرادةِ فيهِ، وإصرارِهِ على إنفاذِ وعدِهِ، وفاعلُهُ عائدٌ على ﴿لَسَحِرٌ﴾ في الآيةِ السّابقةِ، والتّعبيرُ بالمصدرِ المُنسبكِ ﴿أَن يُخْرِجَكُم﴾ (المفعول به) أقوى في الدّلالةِ على حدثِ الإخراجِ، وتأكيدِ تحقُّقِهِ.

تَجدُّدُ الإرادةِ، والإصْرارُ على إنفاذِ الوعْدِ بالإخراجِ، وتأْكِيدُ تحقُّقِهِ

نُكتةُ نِسْبةِ الإخراجِ والأرضِ إليهم، في السِّياقِ الحكيمِ:

نسبةُ الإخراجِ إليهم عن طريقِ كافِ الخطابِ، وعلامةُ جمعِ العُقلاءِ تخصيصٌ للتّحذيرِ بهِم؛ زيادةً في التّخويفِ والتّرهيبِ، ويُرسِّخُ ذلك نسبةَ الأرضِ إليهم ﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ على طريقةِ التّمليكِ، فحرَّضوهُم بأنَّ هذا السّاحرَ سيُفقِدُكُم استقلالَكُم، ويجعَلُكُم مَحكومينَ ببني إسرائيلَ، كما حكمَكُم الهِكْسوسُ مِن

التَّحذيرُ مِنَ الإخراجِ، ترهيبٌ لهم، وتحريكٌ للغيرةِ على الوطنِ

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/456.
(2) رضا، تفسير المنار: 9/53.
(3) اللاّحم، عون الرّحمن: 9/245.

قبلُ[1]؛ قصدًا إلى التّذكيرِ بأنّها أرضُهُم الّتي استوطنوها، وصارَت لهم مَوطِنًا، وتقريبُها مِن أنفسِهِم، وإنساؤُهُم ما كانوا يَلقَوْنَ مِنَ اضطهادِ القِبطِ وإذلالِهِم، شُعورًا مِنهم بِحَراجَةِ المَوقِفِ[2].

العُدولُ عن ذِكْرِ لَفْظِ ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾، بحذْفِه منَ السِّياقِ:

تـأكـيـدُ بُـغـضِ فِـرعـونَ وملئِه لمـــــوسى، وتـعـجُّـلِـهـم في إبرامِ الضُّرِّ لهُ

جاءَ في سورةِ الشّعراء إضافةُ لفظةِ ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾ في سياقِ قصّةِ موسى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ [الشّعراء: 35] وحذفُها هنا؛ لأنَّ القصّةَ في سورةِ الأعرافِ بُنيَت على الاختصارِ فناسبَها الحذفُ[3]، وزادَها في الشّعراء؛ لأنّها مِن قولِ فِرعونَ، وهو أحنقُ عليهِ مِنَ الملأِ بجمعِهِم، وأعظمُهم بغضًا له وكراهةً لما جاءَ بهِ موسى، فهو المُتضرِّرُ الأكبرُ مِن دعوتِهِ، ويَشهَدُ على عِظَمِ حَنَقِهِ تَكرارُه وصفَ السّحرِ في سورة طه: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾ [طه: 57]، فأكَّدَ بذكرِ اللّفظةِ طمعًا في الإصغاءِ لقولِهِ، والثّباتِ على مَذهَبِهِ الشّنيعِ، ورجاءَ أن يَعتقِدَ الملأُ مِن قومِهِ أنَّ آيةَ موسى عليه السلام سِحرٌ لا توقُّفَ فيها، فلم يَقنَعْ بقولِهِ لملئِهِ: أنّه لَساحرٌ عليمٌ، وأنّهُ يُريدُ إخراجَهُم مِن أرضِهِم حتّى أصرَّ على ذلك، وأكّدَهُ طمعًا في رضوخِهِم لباطلِهِ بقولِهِ: ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾. فضلًا عن أنَّ حالَ الملأِ مِن قومِهِ لم يكُنْ كحالِهِ؛ ولذلك اكتفوا بقولِهِم لرسولِهِم، وبعضِهم لبعضٍ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾، فهذا قولُ الملأِ، والّذي وردَ في سورةِ الشّعراءِ قولُ فِرعونَ وزيادة: ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾ [الشّعراء: 35]؛ لتبيِّنَ حالَ الملأِ مِن حالِ فِرعونَ[4]؛ فقد كانوا دونَهُ خوفًا وانزعاجًا، وأقلَّ منه حرصًا على الطّعنِ في دعوةِ موسى[5]. وذَكَرَ البِقاعيُّ أنّ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/2922.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/42.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/359.
(4) ابن الزّبير، ملاك التّأويل: 1/215 - 216.
(5) رضا، تفسير المنار: 9/53.

السّياقَ لمّا كانَ مُخصَّصًا لبيانِ فِسقِهم، أسقَطَ قولَهُم ﴿بِسِحۡرِهِۦ﴾؛ إفهامًا لِعَجَلَتِهم في إبرامِ الأمرِ في ضُرِّهِ، إشارةً إلى تَغاليهِم في الفِسقِ بِعِلمِهِم أنّهُ مُحِقٌّ، وليسَ بِساحِرٍ[1].

بيانُ تعدُّدِ الوُجوهِ في قولِه تعالى على لسانِهم: ﴿فَمَاذَا﴾:

استعاضَ باللّفظِ الأَنْسبِ اقتصادًا، واقتضاءً بيانيًّا وافيَ المقصودِ

الفاءُ في ﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾ سببيّةٌ، و(ماذا) يَحْتَمِلُ أن تكونَ كُلُّها استِفهامًا، أو تكونَ مَفْعولًا ثانيًا لـ ﴿تَأۡمُرُونَ﴾ على سبيلِ التَّوسُّعِ فيه، بأن حُذِفَ منهُ حرفُ الجرِّ، وأصلُهُ: بأيِّ شيءٍ، ويكونُ المفعولُ الأوّلُ مُستغنًى عنهُ بالمذكورِ؛ لفهمِ المعنى؛ أي: (أيُّ شيءٍ تَأمُرونَني)، ويَجوزُ أن تكونَ (ما) استِفهامًا مُبتدأً، و(ذا) بِمعنى (الّذي) خَبَرٌ عنهُ، و﴿تَأۡمُرُونَ﴾ صِلَةَ (ذا)، ويكونُ قد حُذِفَ منهُ مَفعولَي ﴿تَأۡمُرُونَ﴾: الأوّلُ: وهو ضميرُ المُتكلِّمِ، والثّاني: وهو الضّميرُ العائدُ على المَوصولِ، والتّقديرُ: (فَأيُّ شيءٍ الّذي تَأمُرونَني بِهِ)[2]، فاستعاضَ باللّفظِ الأنسبِ اقتصادًا، واقتضاءً بيانيًّا وافيَ الدّلالةِ والقَصدِ.

مَوقِعُ الفعلِ المضارعِ ﴿تَأۡمُرُونَ﴾، ودَلالتُهُ في السّياقِ:

القولُ الموجَّهُ لفرعونَ، جدَّدَ فيه استمرارَ الكيدِ، واستِحكامَ العَداوةِ

مَجيءُ الفعلِ ﴿تَأۡمُرُونَ﴾ بصيغةِ المضارعِ الدّالِّ على الحالِ والاستقبالِ، الحاملِ دلالةَ تجدُّدِ الكيدِ واستمرارِهِ؛ إمّا أن يكونَ مُستأنَفًا مِن كلامِ فِرعونَ، ويكونَ بمعنى المشاورةِ، وإمّا أن يكونَ مِن تمامِ الحكايةِ عن قولِ الملأِ لِفرعونَ وأصحابِهِ، وإمّا له وحدَهُ؛ أي: قالوا لِفرعونَ: فبأيِّ شيءٍ تأمُرُنا؟ وخاطبوهُ بما تُخاطَبُ به الجماعةُ؛ تعظيمًا له كما يُخاطبُ الرّؤساءُ أتباعهم[3]. فجَرَتْ ضمائرُ الخطابِ في قولِهِ: ﴿يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡ﴾ على صيغةِ الجمعِ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾ [المؤمنون: 99][4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/81.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/359.
(3) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/592، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/359.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/42 - 43.

سِرُّ التَّعْبيرِ بلفْظِ الأمرِ ﴿تَأْمُرُونَ﴾، في السِّياقِ الكريمِ:

تـمـامُ الـخَـيْـبـةِ استعانةُ فرعونَ المُدَّعِي الألوهيّةَ بالمألُوهِين

الأمرُ حقيقتُهُ طَلَبُ الفعلِ؛ ليكونَ المعنى: (ماذا تَطلبونَ أن نفعَلَ)، ولمّا تقدَّمَ في شرحِ المُفرداتِ مِن غَلبةِ استعمالِ الأمرِ في الطّلبِ الصّادرِ مِنَ الأعلى إلى مَن هم دونَهُ؛ فيكون إطلاقُهُ هنا في قولِه: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ يُشعِرُ بأنَّ فِرعونَ قد أدركَ أنّ مكانتَهُ قدِ انحطَّت، وأنّهُ نَزَلَ عن كبريائِهِ وغطرستِهِ؛ ليَتَّبِعَ أسلوبَ التَّلطُّفِ مع المُخاطَبينَ، وتطييبِ قلوبِ مَن حولَهُ، بأنّه لا يَقطَعُ أمرًا إلّا بمشورتِهِم، وذلكَ مِن تمامِ الخيبةِ فيه؛ إذ يدَّعي الألوهيّةَ، ثمّ يَستَعينُ بأمرِ المَألوهِ![1] ولا غرابةَ، فهَوْلُ أمرِ زوالِ المُلكِ مَداعاةٌ للتَّلطُّفِ مع الأنصارِ، وإظهارِ جانبِ اللّينِ لهم، وذلك طَبعُ المَكَرَةِ اللِّئامِ متى ما شعروا بالخطرِ، وأحسّوا بالتّهديدِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(يُخرِجُكم)، و(يُبعِدُكم):

الإخـراجُ انتقالٌ مِـن مـكـانٍ إلى آخـرَ بـلا عَـوْدٍ، وهـو أنـسـبُ للسِّياقِ

الخُروجُ انتقالٌ، يُقالُ: (خرجتُ مِنَ البَصرَةِ إلى الكوفَةِ)، وهوَ مُتنوِّعٌ في نَفسِهِ لُغَةً؛ لأنَّهُ عبارَةٌ عَنِ الانفصالِ مِن مَكانِهِ الَّذي هوَ فيهِ إلى مَكانٍ قَصَدَه، وذَلِكَ المَكانُ تارَةً يكونُ قَريبًا، وتارَةً يكونُ بَعيدًا، فعلى هَذا السّفرُ أحدُ نَوعي الخُروجِ وضعًا ولغةً، يُقالُ: (سافرَ فلانٌ) مِن غيرِ ذكرِ الخُروجِ، فيجعلونَ الخُروجَ عينَ السّفرِ، أمّا البُعدُ فهو خلافُ القُربِ، وقد يكونُ بمعنى بُعْدِ المَنزِلةِ[2].

فالإخراجُ أنسبُ لسياقِ الآيةِ الكريمةِ؛ لكونِهِ تعبيرًا صريحًا عنِ الانتقالِ مِن مكانٍ إلى آخرَ، ولا يَحتمِلُ دلالةً أخرى قد تُلبَسُ على السّامعِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/43، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4287.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بعد)، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 432.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»